نصيحةُ الحَافِظِ عُبَيدِ اللَّهِ بنِ مُحَمَّدِ ابنِ بَطَّةَ العُكبَرِيِّ
لِأَحَدِ إِخوانِهِ يُسلِّيهِ ويُصبِّرُه فيها

قال محمد بن طولون الدمشقي: وقد سَبَقهُما[1] إلىٰ النَّصيحةِ الإمامُ المجابُ الدعوةِ أبو عبدِ اللهِ عبيدُ اللهِ بنُ محمدِ بنِ حمدانَ بنِ بَطَّةَ الحَنبَليُّ.

وقد أخبرنا أبو العباس أحمد بن حسن الصالحي، أنا أبو عبد الله محمد بن محمد بن العماد، أنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن المحب، أنا أبو زكريا يحيىٰ بن محمد بن سعد، عن عجيبة بنت الباقداري، وكريمة بنت عبد الوهاب القرشية، كلاهما عن أبي الفرج مسعود بن الحسن الثقفي، وأبي عبد الله الحسن بن العباس الرستمي، وأبي المعالي محمد بن محمد بن الجبان، قالوا: أنا أبو القاسم علي بن أحمد بن البسري إجازة، أنا أبو عبد الله بن بطة، [فقالَ بعدَ البسملةِ والحمدلةِ والصلاةِ: أما بعد][2]،

اعلمْ يا أخي، وهبَ اللهُ لي ولكَ الثباتَ في الأمرِ، وعزيمةَ الرُّشدِ، وشكرَ الأنعُمَةِ[3] معَ الرِّضا بعطائِهِ، والصبرِ علىٰ قضائِهِ، والعافيةِ النافعةِ[4] من بلائِهِ، والمولاةِ لأوليائِهِ، والمعاداةِ لأعدائِهِ، والرحمةِ لجميعِ المسلمينَ. وكتابِي إليكَ – وعالمِ الخفيّاتِ، والمُطَّلِعِ علىٰ السرائرِ – لوِ استطعتُ لكنتُ مكانَهُ، ولقد كتبتُهُ وأنا كالحائرِ القلبِ، المسلوبِ اللُّبِّ؛ وذلكَ لما اتَّصلَ إليَّ أنَّ حادثةً جرتْ، وإنْ كانتْ قد ألمَّتْ، وأوجعتْ، وأزعجتْ، وعمَّتْ، فإنَّها قد يَقَّنَتْ، وأوضحتْ، وكشفتْ عن عنايةٍ من اللهِ عزَّ وجلَّ قد سَبَقتْ وسَلَفتْ: إمَّا لمنزلةٍ رفيعةٍ

---

(١) يعني الحافظان الضياء وعبد الغني المقدسيان.

(٢) هذه العبارة سابقة الإسناد في الأصل.

(٣) كذا في الأصل، والأنعم جمع النعمة.

(٤) كلمة ليست واضحة في الأصل ولعلها ما أثبته.

علتْ وسبقتْ، أو لذنوبٍ سبقتْ فمُحِيَتْ [1] وحُطَّتْ، ولِدَرَنٍ غَسلتْ وأذهَبَتْ فأنفقت[2].

فقد قيلَ أنَّ من تَحَيَّزتْ إليه شرائعُ الإيمانِ فلا بُدَّ لهُ من خَمسٍ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، فقال عمر بن الخطاب: نِعْمَ الْعِدْلَانِ، وَنِعْمَتِ الْعِلَاوَةُ[3]، ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦-١٥٧][4].

---

(١) يحتمل رسم هذه الكلمة أن يكون: (فحصت)، ولعل الوجه الأرجح هو ما أُثبت في المتن.

(٢) يحتمل الرسم أن يكون: (فأنفعت) وربما كذلك: (فاتفقت)، ولم أتبين الأرجح علىٰ وجه الجزم.

(٣) (العدلان) المِثلان، ومراده بهما (الصلوات) و(الرحمة) لمن صبر واحتسب عند المصيبة. و(العلاوة) ثناء الله تعالىٰ عليهم بالهداية، والعدلان في الأصل: ما يوضع علىٰ شقي الدابة من الحمل، والعلاوة ما يوضع عليه بعد تمام الحمل، كالزاد وغيره.

(٤) رواه سعيد بن منصور في التفسير من «سننه» (٢٣٣) ومن طريقه البيهقي في «شعب الإيمان» (٩٢٣٩) من طريق مجاهد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وعلقه البخاري في «صحيحه» (٢/ ٨٣) تحت باب: الصبر عند الصدمة الأولىٰ. ورواه الحاكم (٣١٠٥) وعنه البيهقي في «السنن الكبير» (٧٢٠٧) وفي «شعب الإيمان» (١٤٨٤) من طريق مجاهد، عن سعيد بن المسيب، عن عمر رضي الله عنه.

- قال ابن القيم رحمه الله في «إغاثة اللهفان» (٢/ ٩١٢): وقد جمع الله سبحانه لأهل هدايته بين الهدىٰ والرحمة والصلاة عليهم، فقال تعالىٰ: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٧]. قال عمر بن الخطاب فذكر الخبر، ثم قال: فبالهدىٰ خَلَصُوا من الضلّال، وبالرحمة نَجَوْا من الشّقاء والعذابِ، وبالصلاة عليهم نالُوا منزلةَ القُرْب والكرامة. والضالُّون حصل لهم ضدّ هذه الثلاثة: الضلالُ عن طريق السعادة، والوقوعُ في ضِدّ الرحمة من الألم والعذاب، والذمُّ واللعنُ الذي هو ضد الصلاة. اهـ

وكان يُقالُ: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يُحِبُّ عبدَهُ المؤمنَ فيبتليهِ، ثم يعودُ عليهِ فيَقتَنِيهِ[1]. وكذلك تُوجِبُ أحكامُ العقلِ أنَّ القِنْيَةَ لا تصلحُ أن تكونَ إلَّا خالصةً من كلِّ عيبٍ، نقيَّةً من كلِّ شَوْبٍ. وقالَ خالدُ بنُ مَعْدانَ: إذا كنتَ تُحِبُّ اللهَ، وهو يبتليكَ، فاعلَمْ أنَّهُ يُريدُ أن يُعافِيَكَ[2]. ويُقالُ في معنىٰ قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ لموسىٰ: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠]، قالَ: وطَحَنَّاكَ بالبلاءِ طَحْنًا حتىٰ خرجتَ صافيًا نقيًّا[3]. وقالَ كَعبٌ: قرأتُ في الكتابِ الأوَّلِ [٤٣/ أ] ما[4] كَرُمَ عبدٌ علىٰ اللهِ إلَّا ازدادَ البلاءُ عليهِ شِدَّةً[5]. وقالَ النبيُّ صلىٰ اللهُ عليهِ وسلم: «إذا أحبَّ اللهُ قومًا ابْتَلاهُم، فمَن رَضِيَ فلهُ الرِّضا، ومَن سَخِطَ فلهُ السُّخْطُ»[6]. وقالَ صلىٰ اللهُ عليهِ وسلَّم: «أشدُّ الناسِ بلاءً

---

(١) أي اتَّخَذَه واصطفاه، يقال: قناه يَقنُوه، واقتناه: إذا اتَّخَذَه لنفسه. وروىٰ نحو هذا المعنىٰ ابن الجنيد الخُتُّلي في «المحبة لله» (١٥٣) ومن طريقه ابن المحب المقدسي في «الصفات» (٢٠٩١) وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٤٩٩) والدولابي في «الكنىٰ والأسماء» (٢٧٦) من حديث أبي عنبة الخولاني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: «إذا أحب الله تعالىٰ عبداً ابتلاه، وإذا أحبه الحب البالغ اقتناه». قالوا: وما اقتناه؟ قال: «لا يترك له مالاً ولا ولدًا». اللفظ للختلي.

(٢) لم أجده. ونسبه التوحيدي في «البصائر والذخائر» (٨/ ٧١) لبعض الصوفيّة.

(٣) لم أجده.

(٤) سقطت من الأصل وهي مثبتة في التعقيبة.

(٥) رواه الإمام أحمد في كتاب «الزهد» (١٩٢١) وأبو بكر المرُّوذي في «أخبار الشيوخ وأخلاقهم» (٣٢٣) والحارث في «مسنده» كما في «بغية الباحث» (٢٨٧) وأبو العرب التميمي الإفريقي في «المِحَن» (ص٣٠١) وغيرهم. وليس عند أحد منهم قوله: (قرأتُ في الكتابِ الأوَّلِ).

(٦) رواه الترمذي (٤/ ٦٠١) وابن ماجه (٤٠٣١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه. ورواه الإمام أحمد

الأنبياءُ، ثم الذينَ يلونهم، ثم الذينَ يلونهم؛ فكلَّما اشتدَّ إيمانُ المؤمنِ اشتدَّ بلاؤُه، وكلَّما ضَعُفَ إيمانُ المؤمنِ ضَعُفَ بلاؤُه، وإنَّ البلاءَ لا يزالُ بالمؤمنِ حتىٰ يمشيَ علىٰ الأرضِ وما عليهِ خَطيئةٌ»[1].

وقالَ عثمانُ بنُ يَزْدُوْيَه: كنتُ معَ وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ وسعيدِ بنِ جُبيرٍ يومَ عرفةَ تحتَ نخلِ ابنِ عامرٍ، فقالَ وهبٌ لسعيدٍ: يا أبا عبدِ الله، كمْ لكَ منذُ خِفْتَ الحَجّاجَ؟ قالَ: خرجتُ من عندِ امرأتي وهي حامِلٌ، فجاءني الذي في بطنِها وقد خرجَ وجهُهُ[2]، فقالَ وهبٌ: إنَّ مَن كانَ قبلَكم كان إذا أصابَ أحدَهُمْ بلاءٌ عَدَّهُ رَخاءً، وإذا أصابَهُ رَخاءٌ عَدَّهُ بلاءً[3].

(٢٣٦٢٣) من حديث محمود بن لبيد رضي الله عنه بلفظ: «إن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، فمن صبر فله الصبر، ومن جزع فله الجزع».

(١) هذا النص – فيما يظهر – في حقيقته مركَّب من حديثين جمعهما المؤلِّف في سياق واحد، فالحديث إلىٰ قوله: «يلونهم» رواه الإمام أحمد (٢٧٠٧٩) وإسحاق (٢٤١٣) والنسائي في «الكبرىٰ» (٧٤٥٤) وغيرهم من حديث فاطمة بنت اليمان رضي الله عنهما أنها قالت: أتينا رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم نعوده في نساء، فإذا سقاء معلق نحوه، يقطر ماؤه عليه من شدة ما يجد من حر الحمىٰ، قلنا: يا رسول الله، لو دعوت الله فشفاك، فقال: رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، فذكره.

– وأما من قوله: «فكلَّما اشتدَّ إيمانُ المؤمنِ» فهو قطعة من حديث رواه الإمام أحمد (١٦٠٧) وابن ماجه (٤٠٢٣) والترمذي (٢٣٩٨) وغيرهم، من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٢) يعني نبت شعر وجهه.

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (٢١٨٤) ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٥٦) و (٤/ ٢٨٩).

وفي بعضِ كتبِ اللهِ عزَّ وَجَلَّ: إذا سَلَكَ بكَ طريقَ أهلِ البلاءِ فَطِبْ نَفْسًا، فقد سلكَ بكَ طريقَ الأنبياءِ والصَّالحين[1]. ويُقالُ: إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ أوحىٰ إلىٰ الدنيا: مَرِّي[2] علىٰ عبدي المؤمنِ، يصبِرْ عليكِ، ولا تَحْلَولي له فتَفْتِنِيهِ. وقيلَ: إنَّ رجلًا من الصالحين أمرَ بمعروفٍ، ونهىٰ عن منكرٍ، فقُطِعَتْ يَداهُ ورِجْلاهُ، وأُلْقِيَ في السِّجنِ، فكتبَ إليه رجلٌ من إخوانِهِ يُعَزِّيهِ ويُصَبِّرُهُ[3]. فكتبَ إليه: يا أخي، كتبتَ إليَّ تُعَزِّينِي وتُصَبِّرُنِي وقد أُصِبْتُ، ولو كنتَ كتبتَ تُهَنِّينِي، أصبحتُ في منزلةِ الرَّغائِبِ، أنظرُ إلىٰ العجائبِ، وإنِّي رأيتُ اللهَ عزَّ وجلَّ يتحبَّبُ إلىٰ من يؤذِيهِ، فكيفَ بمن يُؤذَىٰ فيه؟ وما ظنُّكَ بالكريمِ الذي يُؤْتِي مَن يَسخَطُهُ ما يُرضِيهِ، فكيفَ بمن يُرضِيهِ ويَسخَطُ الناسُ فيه؟ وما ظنُّكَ بالكريمِ الذي يتفضَّلُ برحمتِهِ علىٰ مَن يعاديهِ، فكيفَ بمن يُعادَىٰ فيه[4]؟

---

(١) رواه الإمام أحمد في «الزهد» كما في «حسن التنبه» (٥/ ٢٠٠) ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٥٦) عن وهب بن منبه قال: قرأت في كتاب رجل من الحواريين: إذا سلك بك طريق البلاء، أو قال طريق أهل البلاء فطب نفسًا، فقد سلك بك طريق الأنبياء والصالحين. وإذا سلك بك طريق الرخاء فقد أخذ بك طريق غير طريق الأنبياء والصالحين عليهم الصلاة والسلام.

(٢) من المرارة، وهي ضد الحلاوة. والمعنىٰ أن الله تعالىٰ أوحىٰ إلىٰ الدنيا أن تُذيق عبده المؤمن شيئًا من مرارتها، ليختبر صبره وثباته، وألّا تُظهِر له ما يَحْلُو منها فيفتتن به ويتعلَّق بزخارفها.

(٣) في الأصل: (ويصبرنه).

(٤) رواه ابن أبي الدنيا في «الرضا عن الله بقضائه» (٦٧) ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (١٠/ ١٣٥) عن محمد بن أبي القاسم، مولىٰ بني هاشم وكان قد قارب المائة قال: وعظ عابدٌ جبارًا فأَمَر به فقُطعت يداه ورجلاه وحُمل إلىٰ متعبده، فجاء إخوانه يعزونه فقال: لا تُعَزُّوني ولكن هَنِّئُوني بما ساق الله إليَّ، ثم قال: إلهي أصبحت في منزلة الرغائب

حَسْبُ المؤمنِ أن يَعْلَمَ أنَّ الأمرَ كذا، فإنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ جعلَ مصالحَنا في مكارهِنا، ورِضاهُ فيما يَسخَطُنا، فقال: ﴿فَعَسَىٰ[1] أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ١٩]. فللأقدارِ الاختيارُ، الرِّضا علينا، وفيها الخِيرةُ لنا من حيثُ نَدري ومن حيثُ لا نَدري. ونحنُ يا أخي – تولاكَ اللهُ – فعلىٰ سَفَهِ أحلامِنا، وقِصَرِ أعمارِنا، وقِلَّةِ اعتبارِنا، فما رأَيْنا في هذه الأمَّةِ مع[2] مَن مضىٰ ممَّن أعلىٰ اللهُ قدرَه، وأطابَ نَشْرَه، ورَفَعَ اسمَه وذِكْرَه، إلَّا مَن سَبَكَهُ بالامتحانِ، وطَبَخَهُ بالبلاءِ بصُنوفِ الألوانِ.

أنظر إلىٰ العجائب، إلهي أنت تودد بنعمتك إلىٰ من يؤذيك، فكيف تودني إلىٰ من يؤذىٰ فيك؟

– وقال التنوخي في «الفرج بعد الشدة» (٢/ ١٥٨): حبس عبدُ الله بن طَاهِر، مُحَمَّد بن أسلم الطوسي، فَكتب إِلَيْهِ بعض إخوانه يعزيه عَن مَكَانَهُ. فَأَجَابَهُ: كتبت إِلَيّ تعزيني، وَإِنَّمَا كَانَ يجب أَن تهنيني، أريت الْعَجَائِب، وَعرضت عَليّ المصائب، إِنِّي رَأَيْت الله تَعَالَىٰ يتحبب إِلَىٰ من يُؤْذِيه، فَكيف من يُؤْذىٰ فِيهِ، إِنِّي نزلت بَيْتا سَقَطت فِيهِ عني فروض وَحُقُوق، مِنْهَا الْجُمُعَة، وَالْأَمر بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْي عَن الْمُنكر، وعيادة الْمَرِيض، وَقَضَاء حُقُوق الإخوان، وَمَا نزلت بَيْتا خيرا لي فِي ديني مِنْهُ. فَأُخْبر بذلك ابْن طَاهِر، فَقَالَ: نَحن فِي حَاجَة إِلَىٰ ابْن أسلم، أَطْلقُوهُ، فأفرج عَنهُ.

(١) في الأصل: (وعسىٰ).

(٢) الكلمة ليست واضحة وأقرب ما ظهر لي فيها ما أثبته.

هل تُريدُ فوقَ سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ؟ أليس ضُرِبَ بالسَّوْطِ، وأُلبِسَ تُبَّانَ الشَّعْرِ، وطِيفَ به في الناس[1]؟ وفُعِلَ بيحيىٰ بنِ أبي كثيرٍ مثلُ هذا[2]؟ أَوَلَيْسَ قد ضُرِبَ محمدُ بنُ شِهابٍ الزُّهريُّ

---

(١) روىٰ ابن سعد في «الطبقات الكبير» (٧/ ١٢٨): عن أبي المليح قال: حدثني غير واحد أن عبد الملك بن مروان ضرب سعيد بن المسيب خمسين سوطًا وأقامه بالحرَّة وألبسه تُبَّان شعر. قال: فقال سعيد: أما والله لو علمت أنهم لا يزيدونني علىٰ الضرب ما لبست لهم التبان، إنما تخوفت أن يقتلوني فقلت: تبان أستر من غيره.

- وفي زوائد كتاب «الزهد» للإمام أحمد بن حنبل (٢٣٠٧) ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٧٠) والفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٤٧٦): عن رجاء بن جميل الأيلي قال: قال عبد الرحمن بن عبدٍ القاري لسعيد بن المسيب حين قدمت البيعة للوليد وسليمان المدينة من بعد أبيهما: إني مشير عليك بخصال ثلاث، قال: وما هي؟ قال: تعتزل مقامك، فإنك تقوم حيث يراك هشام بن إسماعيل، قال: ما كنت لأترك مقاما أقومه منذ أربعين سنة. قال: أو تخرج معتمرًا، قال: ما كنت لأنفق مالي وأجهد بدني في شيء ليس فيه نية. قال: فما الثالثة؟ قال: تبايع، قال أرأيت إن كان الله عز وجل أعمىٰ قلبك كما أعمىٰ بصرك فما علي؟ قال: وكان أعمىٰ. قال رجاء: فدعاه هشام إلىٰ البيعة فأبىٰ فكتب فيها إلىٰ عبد الملك فكتب إليه عبد الملك: ما لك ولسعيد؟ ما كان علينا منه شيء نكرهه، فأما إذا فعلت فاضربه ثلاثين سوطا وألبسه تبان شعر وأوقفه لئلا يقتدي به الناس فدعاه هشام، فأبىٰ فقال: لا أبايع لاثنين قال: فضربه ثلاثين سوطًا وألبسه تُبانًا من شعر وأوقفه للناس، قال رجاء: حدثني الأيليون الذين كانوا في الشُّرَط بالمدينة قالوا: علمنا أنه لا يلبس تبانًا طائعا، فقلنا له: يا أبا محمد إنه القتل، فاستر عورتك قال: فلبسه قال: فلما ضرب فتبين له أنا خدعناه فقال: يا معجلة أهل أيلة لولا ظننت أنه القتل ما لبسته.

- وفي زوائد «الزهد» (٢٢٥٨) ومن طريقه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٧٠) عن عمران بن عبد الله قال: دعي سعيد بن المسيب للوليد بن سليمان بعد عبد الملك بن مروان فقال: لا أبايع اثنين ما اختلف الليل والنهار، قال: قيل: ادخل من باب واخرج من الباب الآخر، قال: والله لا يقتدي بي أحد من الناس قال: فجلدوه مائة وألبسوه المسوح.

- وفي «الحلية» (٢/ ١٧١): عن أبي عوانة عن قتادة قال: أتيت سعيد بن المسيب وقد ألبس تبان شعر وأقيم في الشمس فقلت لقائدي: أدنني منه، فأدناني منه، فجعلت أسأله خوفًا من أن يفوتني وهو يجيبني حسبة والناس يتعجبون.

(٢) قال معمر بن راشد: أريد يحيىٰ بن أبي كثير علىٰ البيعة لبعض بني أمية، فأبىٰ حتىٰ ضُرب، وفُعل به كما فُعل بابن المسيب. «المعرفة والتاريخ» (٢/ ٢٨٦) و«تاريخ ابن أبي خيثمة» (١٢٦٤).

بالسياطِ، وعُلِّقَتْ كُتُبُهُ في عنقِهِ، وطِيفَ به في المسجد[1]؟ أَوَلَيْسَ قد ضُرِبَ محمدُ بنُ المُنْكَدِرِ وأصحابٌ له بالسياطِ[2]؟ وضُرِبَ ربيعةُ بنُ أبي عبدِ الرحمنِ، وحُلِقَ رأسُهُ ولِحْيَتُهُ[3]؟

---

(١) في «مناقب الإمام أحمد» (ص٤٦١): عن الحسن بن عبد العزيز الجَروي، قال: قلت للحارث ابن مسكين: إن هذا الرجل- أعني أحمد بن حنبل - قد ضُرب، فاذهب بنا إليه، فذهبتُ أنا وهو، فدخلنا عليه حِدْثان ضربه. فقال لنا: ضُربت فسقطتُ وسمعت ذاك - يعني ابن أبي دُؤاد - يقول يا أميرَ المؤمنين، هو والله ضالٌّ مضلٌّ. فقال له الحارث: أخبرني يوسف بن عمر بن يزيد، عن مالك بن أنس: أن الزُّهري سُعيَ به حتىٰ ضُرب بالسياط، فقيل لمالك بعد ذلك: إنّ الزُّهري قد أقيم للناس وعُلّقت كتبه في عنقه، فقال مالك: قد ضُرب سعيد ابن المسيّب بالسياط وحُلق رأسه ولحيته، وضُرب أبو الزِّناد بالسياط، وضرب محمد بن المنكدر وأصحاب له في حَمّام بالسياط، قال: وقال عُمر بن عبد العزيز: لا تَغبطوا أحداً لم يُصبه في هذا الأمر أذىٰ، قال: وما ذكر مالك نفسه، قال: فأُعجب أحمدُ بقول الحارث.

(٢) عن مصعب الزبيري قال: حدثني ربيعة بن عثمان التميمي قال: دخلت أنا ومحمد بن المنكدر الحمَّام، فدخل علينا رجل فوعظناه، فأتىٰ الأمير فقال: إن في الحمام قوم من الخوارج، قال: فبعث إلينا فضربنا بالسياط وما سَأَلَنَا عن شيء.

- وعن مالكٍ: أنَّ ربيعةَ بنَ أبي عبدِ الرحمن، لَمَّا ضُرِبَ وحُلِقَ رأسُه ولحيتُه، عتبَ الأميرُ علىٰ ضارِبِه؛ فضربه الأميرُ، وحَلَقَ رأسَه ولحيتَه، وأقامه للناس. فقيل لربيعةَ: إنَّ الأميرَ قد ضرب فلانًا، وحلق رأسَه ولحيتَه، وأقامه للناس. فقال ربيعةُ: ترون من حظِّنا من ذلك النظرَ إليه والشماتةَ به؟ إنَّا نؤمِّلُ من ثوابِ اللهِ عزَّ وجلَّ ما هو أعظمُ من ذلك.

- قال مالكٌ: وإنَّ محمدَ بنَ المنكدرِ، لَمَّا ضُرِبَ، فَزِعَ لضربِه أهلُ المدينة، فاجتمعوا إليه، فقال: لا عليكم؛ إنَّه لا خيرَ فيمَن لا يُؤذىٰ في هذا الأمر.

- وعن محمدِ بنِ وضَّاحٍ قال: مات ربيعةُ بنُ أبي عبدِ الرحمن ومحمدُ بنُ المنكدرِ سنةَ ستٍّ وثلاثين ومائة، وضُرِبَ محمدُ بنُ المنكدر، وضُرِبَ ربيعةُ، وحُلِقَتْ لحيتُه. كتاب «المحن» لأبي العرب التميمي (ص٣٢٦).

(٣) في «طبقات المحدثين بأصبهان» لأبي الشيخ (٣/ ١٩٤): عن مالك بن أنس قال: وضرب ربيعة بن أبي عبد الرحمن، وحلق رأسه ولحيته، وضرب ابن المنكدر مع أصحاب له.

- وفي «إكمال تهذيب الكمال» لمغلطاي (٤/ ٣٥٤): عن أبي داود قال: ضرب ربيعة بالسياط، وحلقت نصف لحيته، فحلق هو النصف الآخر.

وقد قالَ عمرُ بنُ عبدِ العزيزِ: لا أَغْبِطُ أحدًا سَلِمَ من الأذىٰ، ولم يَحِلَّ به بلاءٌ، ولم يُؤْتَ[1] في هذا الأمرِ[2]. وكان يُقالُ: إذا أحبَّ اللهُ أن يُتْحِفَ عبدَهُ المؤمنَ، قَيَّضَ[3] له مَن يؤذيه. وقالَ سفيانُ: المؤمنُ مُؤْذًىٰ، ولا خيرَ فيمَن لا يُؤْذىٰ[4].

هذا ابنُ عَوْنٍ[5] رحمهُ اللهُ؛ رغِبَتْ إليه امرأةٌ من العربِ لفضلِهِ وصلاحِهِ، فزوَّجَتْهُ نفسَها، فسَعَتْ بها جاريةٌ كانتْ لها إلىٰ بلالِ بنِ أبي بُرْدَةَ [٤٣/ب] فقالت: إنَّ ها هنا رجلًا من الموالي قد تزوَّج امرأةً من العربِ – تعني ابنَ عونٍ – فغَضِبَ بلالٌ، واشتدَّ غضبُهُ، فبعثَ إلىٰ ابنِ عونٍ، فضَرَبَهُ مائةَ سَوْطٍ. وهذا جليسُ أبيكَ وخِدْنُهُ. فندِمَ بلالٌ، وقامَ إلىٰ ابنِ عونٍ حتىٰ اعتذرَ إليه واستَحَلَّهُ، وخَلَّىٰ سبيلَهُ، ورُفِعَ ابنُ عونٍ إلىٰ منزلِهِ. فبعثَتْ إليه المرأةُ الجاريةَ، ووهبتْها

---

(١) في الأصل: (يؤتىٰ).

(٢) رواه يعقوب الفسوي في «المعرفة والتاريخ» (١/ ٤٧٤) وابن الجوزي في «المناقب» (ص٤٦١) عن مالك، قال عمر بن عبد العزيز.

(٣) في الأصل: (قيظ).

(٤) رواه البيهقي في «الشعب» (٩٦٠٥) عن بشر بن الحارث قال: إذا أحب الله أن يتحف العبد سلط عليه من يؤذيه، قال: وقال سفيان: لا خير فيمن لا يؤذىٰ.

– وروىٰ ابن أبي الدنيا في «الإشراف في منازل الأشراف» (٧٩) عن محمد بن مسلم الطائفي، قال: كان يقال: إذا أراد الله أن يتحف عبدًا قيض له من يظلمه.

– وروىٰ ابن أبي شيبة (٣٧٩٧٧) عن سلمة بن كهيل قال: لو كان المؤمن علىٰ قصبة في البحر لقيض الله له من يؤذيه. وروىٰ نحوه ابن المقرئ في «معجمه» (٤٤٣) من قول طلق بن حبيب.

(٥) هو عبد الله بن عون بن أرطبان المزني مولاهم، أبو عون البصري. أحد أعلام المحدثين، جليل القدر، فضائله ومناقبه كثيرة. يروي عن ابن سيرين والحسن رحم الله الجميع. انظر ترجمته في «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٣٦٤).

له. وما زادَ الجاريةَ حينَ أَتَتْهُ أن قالَ لها: يا فلانةُ، هكذا يكونُ الناسُ؟ ثم عَتَقَها، وبَوَّأَها بيتًا له في دارِهِ، ولم تَزَلْ في نَفَقَتِهِ ومُؤْنَتِهِ حتىٰ ماتَتْ[1].

أحسبُ ابنَ عونٍ هذا البلاءَ نعمةً عظيمةً، فَعَتَقَ الجاريةَ، وأنعَمَ عليها مكافأةً لها؛ إذ كانت هي سببَ هذه النعمةِ التي سِيقَتْ إليه.

ولما أَن سُيِّرَ عبدُ اللهِ بنُ العباسِ إلىٰ الطائفِ كتبَ إليه محمدُ بنُ الحَنَفيَّةِ: أما بعد، فقد بَلَغني ما كان من تَسييرِكَ إلىٰ الطائفِ، فرفعَ اللهُ لكَ بذلك عندَهُ ذِكرًا، وحطَّ به عنكَ وِزرًا. يا ابنَ عمِّ، إنما يُبتلىٰ الصالحون، ويُتَعَمَّدُ بالكرامةِ الأخيارُ، ولو لم نُؤجَرْ وتُؤجَرْ إلا فيما نُحِبُّ

---

(١) لم أقف علىٰ القصة بهذا السياق. وروىٰ ابن سعد في «الطبقات» (٩/ ٢٦٢): عن بكار بن محمد قال: ما سمعت ابن عون ذاكرًا بلال بن أبىٰ بردة بشيء قط، ولقد بلغني أن قومًا قالوا: يا أبا عون بلال فعل، فقال: إن الرجل يكون مظلومًا فلا يزال يقول حتىٰ يكون ظالمًا، ما أظن أحدا منكم أشد علىٰ بلال مني، قال: وكان بلال قد ضربه بالسياط لأنه كان تزوج امرأة عربية.

- وروىٰ الفسوي في «المعرفة» (٢/ ٦٣): عن ابن شوذب قال: تزوج ابن سيرين عربية وكره الموالي لما يدخلهم من السبي. قال: فذهب ابن عون يتشبه به فلم يحمل له العرب ذلك، فرفعوه إلىٰ بلال بن أبي بردة ابن أبي موسىٰ الأشعري فضربه وفرق بينهما، قال له: طلقها. قال: هي طالق. قال: ثلاثًا قال: واحدة تبتها. قال: أقول له ثلاثًا وهو يبتها. وقال له: طلقها. قال: هي طالق ثلاثا. قال: واحدة. قال: أقول له ثلاثًا وهو يفتيني بطلاقها.

- وعن مكي بن إبراهيم، قال: كنا عند ابن عون فذكروا بلال بن أبي بردة، فجعلوا يلعنونه ويقعون فيه وابن عون ساكت، فقالوا له: يا أبا عون، أما تذكره لما ارتكب منك؟ فقال ابن عون: إنما هما كلمتان تخرجان من صحيفتي يوم القيامة: لا إله إلا الله، ولعن الله. فلأن يخرج من صحيفتي لا إله إلا الله أحب إليَّ من أن يخرج لعنه الله. رواه ابن أبي الدنيا في «الصمت وآداب اللسان» (٧٤١).

- وقد روي في محنته عدة روايات وفيها أن الذي سعىٰ فيه عند بلال هو قتادة السدوسي لأن التي تزوجها ابن عون كانت سدوسية من قومه. وأسانيدها فيها جهالة فآثرت الإعراض عن إيرادها لذلك. انظر «أنساب الأشراف» (٩/ ٥١) و«أخبار القضاة» (٢/ ٢٨) و«المحن» (ص٣٤٠).

وتُحِبُّ قلَّ الأجرُ. وقد قالَ اللهُ عزَّ وجلَّ: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦]، عَزَمَ اللهُ لكَ علىٰ الشكرِ علىٰ النَّعْماءِ، والصبرِ علىٰ البلاءِ، ولا أَشْمَتَ بنا وبكَ الأعداءَ[1].

إذا ضاقَ ذَرْعُكَ بما لَحِقَكَ، وقد عيلَ صبرُكَ، فاستحضِرِ المِحنةَ لأبي عبدِ اللهِ أحمدَ بنِ حنبلٍ رحمهُ اللهُ، وأَنْعِمِ النظرَ، ورُدَّ في أمرِهِ الفكرَ؛ فإنَّكَ ترىٰ العِبَرَ. لو كان في القرونِ الخاليةِ والأممِ الماضيةِ لكان من العجبِ، ولو كان في بني إسرائيلَ لكان من الحكمةِ أن تُنقَلَ أخبارُهُ إلىٰ من بعدَه.

إلىٰ[2] رجلٍ ماتَ أبوهُ وهو حَمْلٌ في بطنِ أُمِّهِ، فربَّتْهُ يتيمًا، لم يقُمْ بيومِ إمارةٍ، ولا في سوقٍ لتجارةٍ، فما عُرِفَ إلا طلبُهُ العلمَ وصُحبةُ أهلِهِ، والحَرُّ والشمسُ في جمعِهِ، والمبالغةُ في اقتفاءِ آثارِ الصالحين، واتباعِ العلماءِ الربانيين. فهو خيرٌ بلا شرٍّ، ونفعٌ بلا ضرٍّ. حتىٰ إذا عَلَتْ في ذلك سِنُّهُ، وتهذَّبَتْ بالعلمِ والحكمةِ خَلائقُهُ، وحُمِدَتْ طرائقُهُ، وأُمِنَتْ بَوائقُهُ، أُخِذَ بقَيْدٍ، وحُمِلَ علىٰ الأقتابِ[3]، وضُرِبَ به عُرْضَ البلادِ، وسُلِكَ به البراري والقِفارَ، وقيلَ له: اكفرْ بالرحمنِ، وأَلحِدْ بالقرآنِ. ثم حُمِلَ مَوْرودًا علىٰ تلك الحالِ، فحُبِسَ في أضيقِ المحابسِ،

(١) أورده التنوخي في «الفرج بعد الشدة» (١/ ١٧٠) بلا إسناد.
(٢) كذا في الأصل.
(٣) القتب: الرحل الصغير علىٰ قدر سنام البعير، والجمع: أقتاب.

وقُيِّدَ بثقيلِ الحديدِ ثلاثينَ شهرًا، يُعرَضُ عليه الكفرُ بالغُدوِّ والآصالِ، ويُتَوَعَّدُ بأقبحِ الوعيدِ، وأفحشِ التهديدِ. ثم آلَ أمرُهُ أن يُضرَبَ بالسياطِ ضربًا تُعُمِّدَ فيه قتلُهُ، وأُريدَ به هَلَكَتُهُ؛ ثم كانت العاقبةُ له، والعاقبةُ للتقوىٰ في الآخرةِ والأولىٰ. وقُتِلَ قبلَ ذلك النبيونَ، وآلُ النبيينَ، فيُطْلَبُ اللهُ بدمائِهِم. وكفىٰ باللهِ للمظلومينَ ناصرًا، ومن الظالمينَ مُنتقِمًا. وأنتَ يا أخي – أعزَّكَ اللهُ – لكَ في بعضِ هذا سَلْوَةٌ وعَزاءٌ علىٰ ما نَابَك فيه صبرًا، ولك أجرًا.

أتمَّ اللهُ عليك النعمةَ وأَوزَعَكَ شُكرها، وألبَسَكَ لِباسَ العَافية، واستعمَلكَ [٤٤/أ] بطاعتِهِ فيها وكفاكَ كُلَّ مَؤُونةٍ بِلا مؤونة[1]، وأمدَّكَ بالسترِ منه، والصيانةِ، والمعونةِ.

وقد كنتُ أحبُّ أن أكونَ أنا موضعَ هذا الكتابِ، فأُشافِهَكَ بالمسألةِ عن خبرِكَ، وأستشرِحَكَ السببَ في قصتِكَ، وأستغنيَ بالنظرِ عن الخبرِ[2] وبالمعاينةِ عن المكاتبةِ. وأرجو أن يُيسِّرَ اللهُ الكريمُ ذلك، فأنتهزُ الفرصةَ فيه إلىٰ أن يَهَبَ اللهُ ذلك، ويُعينَ عليه.

فإذا استراحَ جسمُكَ، وخلا وجهُكَ، وسكنت من رَوْعَةِ الظلمِ والأذِيَّةِ نفسُكَ، ونشطتَ لكتبٍ أسطرٌ أَقِفُ منها علىٰ سلامتكَ، واجتماعِكَ مع أهلِكَ، وعافيةِ جسمِكَ، لا زِلْتَ سليمًا

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) في الأصل: (بالخبر بالنظر عن الخبر) ولعل الصواب ما أثبته.

معافًىٰ فيه وفي دينِكَ إلىٰ مُنتَهىٰ أجلِكَ. وأستودِعُ اللهَ دينَكَ، وأمانتَكَ، وخواتيمَ عملِكَ، وخصَّصتُكَ وخاصَّتَكَ وأهلَ العنايةِ والخدامةِ[1] بالسلامِ التامِّ.

آخر الرسالة

(١) لم تتبيَّن لي الكلمة بدقة، وأقربُ ما يترجح عندي هو الوجهُ الذي أثبتُّه.